الفصل السابع والعشرون

ميسي ومارادونا

الثامن عشر من نيسان عام 2007م

«برشلونة يستعيد سيطرته على أرض الملعب.

تشافي...

ميسي يراوغ باريديس.

إنّه يستحوذ على الكرة، لقد تجاوز ناتشو أيضًا.

يدخل منطقة الجزاء... يراوغ مرّة أُخرى.

يبدو أنّ تسديدته لن تصيب المرمى...

ميسي يسجِّل.

يا له من هدف!

لقد تجاوز أربعة من لاعبي خيتافي، فضلًا عن الحارس.

يا لها من تسديدة بالقدم اليمنى لم نعتد على مثلها من ميسي!

انظروا إلى هذا الهدف.

obeikandl.com

نلعـب في الدقيقة الثامنة والعشرين، لقد تجاوزنا منتصف الشوط الأول. قد يكون هذا هدف الموسم من دون شكّ...

رائع. الجميع مبتسم، والمشاعر تختلج لرؤية التحكّم، والسرعة، والقدرة، والمراوغة، والتسجيل. لقد أثار مشاعري حقًّا...

لا أريـد أن أجتـرع المقارنات، لكنّـه يذكّرني بالهدف الـذي سجّله دييغو أرمانـدو مارادونا في مرمى إنجلترا في بطولة كأس العالَم عام 1986م. إنّهما هدفـان مختلفان. وهمـا أيضًا لاعبان مختلفان. لا أقصد القـول: إنّ ميسي هو مارادونا، لكنّه ذكّرني بذلك الهدف».

كان ذلـك تعليق مذيع قناة ديجيتال + على مباراة برشلونة وخيتافي، التي جرت في الثامن عشر من شهر نيسان عام 2007م.

وفيمـا يأتي تعليق فيكتور هوغـو موراليس من إذاعة راديـو أرجنتينا على مبـاراة الأرجنتيـن وإنجلترا التي جرت في الثانـي والعشرين من شهر حزيران عام 1986م، على ملعب أزتيكا في مكسيكو سيتي.

«لقد جاء دور دييغو.

الكرة مع مارادونا.

هنـاك لاعبـان يراقبانه، لكنّه مـا زال يحتفظ بالكرة، يتجـه عبقري كرة القـدم العالميـة إلى اليميـن، يتخلّص من الثالـث، لم يبقَ أمامـه إلّا بورشاغا (زميل مارادونا في الفريق، لكنّ المذيع يتهكّم على الدفاع الإنجليزي).

مارادونا يفعل كلّ شيء.

عبقري! عبقري! عبقري! هيّا، هيّا، هيّا.

obeikandl.com

ووووووو

هدفففففف! هدفففففف!

رائع!

يعيش!

يا له من هدف!

دييغو! مارادونا!

معذرة، لقد غلبتني المشاعر...

لقد سجّل مارادونا هدفًا لن ينسى، إنّه أفضل هدف على الإطلاق... يا أيّتها «الطائرة الورقية الفضائية»... من أيّ كوكب جئت؟ لقد صنعْتِ العجائب باللاعبينَ الإنجليز وتركْتِهم طريحي الملعب، وجعلْتِ البلد تصدح بصوت واحد بحبّ الأرجنتين...

الأرجنتين 2، إنجلترا 0.

دييغو! دييغو! دييغو أرماندو مارادونا...

أَحمدُك ربي على كرة القدم، وعلى هبة السماء؛ مارادونا، وعلى هذه الدموع...

على هذه النتيجة؛ الأرجنتين 2، إنجلترا 0».

قميصان مختلفان، ومباراتان مختلفتان؛ إحداهما في نصف نهائي كأس إسبانيا، والأُخرى في ربع نهائي كأس العالَم ضد خصم قوي كالمنتخب الإنجليزي، في أول مواجهة بين المنتخبيْنِ منذ حرب فوكلاند التي دارت رحاها عام 1982م.

obeikandl.com

تلقـي القضايا التي لا تتعلّق بكرة القدم ظلالها على هذه المباراة بصورة ملموسة، وقد تترك أثرًا سلبيًّا في قلوب المشجعين على أقلّ تقدير، على الرغم من أنّ الجميع يُنكِر ذلك.

البطلان مختلفان أيضًا؛ فالطائرة الورقية الفضائية؛ مارادونا ذو الخمسة والعشريـن ربيعًا، هو معشوق الجماهير فـي الأرجنتين، وأحد ألمع نجوم الكرة علـى مستوى العالَم. لم يكن ميسي قد وُلِد بعـدُ حين سجّل الفتى الذهبي ذلك الهـدف. إنّه لايزال في التاسعة عشرة الآن، ولم يمضِ سوى عامين تقريبًا على مشاركته الفريقَ الأول للبارسا، والمنتخبَ الأرجنتيني.

حماسـة معلّقي الإذاعـات لا تضاهى؛ دموع، ومشاعـر أسطورية، وبلاغة أمريكيـة جنوبيـة، مقابـل التحفُّظ الـذي يمتاز بـه المعلّق الإسبانـي، في هذه المناسبة على الأقلّ، ومع ذلك، فالهدفان متشابهان، جدًّا، وكأنّ أحدهما صورة طبق الأصل عن الأُخرى. إذن، فالانطباع الأول صحيح.

وفي اليوم اللاحق، شهد العالَم أنّ التاريخ يعيد نفسه. لقد حيَّر الهدف كلَّ مَنْ شاهده عبر مقاطع الفيديو (اليوتيوب). وقد عُرِض آلاف المرات، وبجانب هدف مارادونا أيضًا. وفُتِح الباب على مصراعيه لنقاش إلكتروني؛ بغية معرفة أيّ الهدفين أفضل. يدلي الجميع بآرائهم، بَدءًا بالخبراء وانتهاءً بالمتحمّسين، فـي حين تعكف وسائل الإعلام على المقارنـة بين لقطات خاصة بالهدفيْنِ من مختلف الجهات، وتُغدِق المديح على أداء ليو.

تُسمَع العناوين والتعليقات والابتكارات اللغوية وتُقرأ، على اختلاف أشكالها وحجومهـا، بَدءًا بِـ «ميسيدونا»، وانتهاءً بِـ «قدم الـرب»، أو حتى «ميسي يفاجِئ العالَم». لا مجال أمام أحد للإنكار؛ فالأدلة واضحة، حتى بالنسبة إلى الصحف الرياضيـة المتعاطفة مع ريال مدريد، التـي تتحفّظ عادة على تخصيص صدر

صفحاتهـا لنجـاح يحقّقه الغريم التقليدي برشلونة. لكنّهـا هذه المرّة لا تتردَّد حيال هذا الأمر.

تطالعنـا صحيفة مـاركا على صفحتهـا الأولـى بالعنوان الرئيس الآتي: «ميسـي يكرِّر هدف مارادونا بعد عشرين عامًـا، وعشرة أشهر، وستة وعشرين يومًـا». في حين نجد فـي الصفحات الداخلية اقتباسًا مـن تعليق فيكتور هوغو موراليـس: «من أيّ كوكب جئت»؟ ولم يغب عن بال أحد أنّ تلك اللحظة يندر أن تتكرّر في عالَم كرة القدم.

لنأخـذ على سبيل المثال الجمهور الـذي كان حاضرًا حينها في كامب نو، وبلـغ تعـداده (53 ,599) مشجعًا، كلّهم واقفـون، في يد كلّ منهـم شيء يمكن التلويـح به؛ سواء صفحة من جريـدة، أو جدول المبـاراة، أو منديل، أو وشاح، الجميـع يلـوِّح بلا استثنـاء. أمّا مَنْ لم يتمكَّـن من إيجاد شـيء لونه مناسب (لا علاقـة باللـون الذي يرتديـه اللاعب بالأمـر) (الأبيض في هـذه الحالة)، فيشارك في التقليد المتعارف بالتصفيق حتى تؤلمه يداه. إنّه تكريم على أعلى المستويات.

مثال آخر يتمثَّل في اللاعبينَ المنتشرينَ على أرضية الملعب؛ إيتو، وديكو، وغوديونسـن. فجميعهم يضعون أيديهم على وجوههم، وكأنّ تعبيرات المفاجأة التـي بـدت على مُحَيّا كلّ منهم تقـول: «يا إلهي، ما الذي فعله تـوًّا»؟! ولا ينتهي الأمر عند هذا الحدّ؛ إذ يغدق الزملاء والخصوم – على حدّ سواء– المديحَ في أثناء المقابلات التي تعقب المباراة:

- ديكو: «كان أجمل هدف شاهدته في حياتي».
- خوركيرا: «لقد غطى علينا جميعًا».

- باريديس: «أتمنّى ألّا أشاهد نفسي على التلفاز بعد ثلاثين عامًا بسببه».
- غويثا: «لا توجد كلمات تفي ذلك الهدف حقّه. لقد غشيتني الرهبة على الرغم من وجودي على مقاعد البدلاء».

لا يوافق بيرند شوستر، مدرِّب خيتافي في ذلك الوقت، على الأمر، لكنّ الجميع يعرف طريقة تفكير ذلك الألماني؛ إذ قال: «كان على لاعبيَّ إيقافه بالقوة، ولو تطلّب الأمر ارتكاب مخالفة، أو تلقّي بطاقة صفراء. لا غضاضة في ذلك».

بدأ النقاش، وسرعان ما وصلت أصداؤه في يوم واحد إلى مختلف أرجاء العالم. وعلى الرغم من أنّ كرة القدم تحمل في ثناياها كثيرًا من اللمسات الجمالية والإبداعية، لكنّ هناك مَنْ يُصِرّ على تحليلها بالأرقام والإحصاءات.

فلنلقِ نظرة على الأرقام إذن:

- استغرق هدف ليو (12) ثانية، في حين استغرق هدف مارادونا (10,8) ثوانٍ.
- قطع ليو مسافة (60) مترًا مقابل (62) مترًا لمارادونا.
- لمس ليو الكرة (13) مرّة مقابل (12) لمارادونا.
- راوغ ليو خمسة من اللاعبينَ، في حين نجح مارادونا في التخلّص من ستة لاعبينَ.

دُمِجت صور الحدثيْنِ معًا للمقارنة بينهما مباشرة. ثمّ أخذ الناس يبحثون عن أوجه تشابه بينهما كما لو كان الأمر لعبة أطفال. وفي السياق نفسه، قامت صحيفة لا ناسيون الصادرة في بوينوس آيرس بالأمر على أكمل وجه، مُظهِرة عشر نقاط تشابهٍ بين اللعبتيْنِ من البداية حتى لحظة الاحتفال (كلا اللاعبيْنِ يتجه في احتفاليته صوب الراية الركنية الموجودة على يمين الملعب).

obeikandi.com

من جانبها، أطلقت المواقع الإلكترونية ومحطات التلفزة والصحف كثيرًا من الاستبانات والاستفتاءات. الأسئلة هي عينها تقريبًا: أيّ الهدفين أكثر روعة: هدف البرغوث أم هدف دييغو؟ أيّهما تفضِّل؟ في رأيك، أيّهما الأفضل؟

جذب الاستفتاء الذي قامت به صحيفة ماركا (55,000) مشارِك. فضّل ما نسبته (60,62٪) منهم هدف ميسي، في حين كانت النسبة المتبقية (39,38٪) من نصيب هدف مارادونا. النتيجة هي ذاتها في الاستفتاء الذي أجرته إذاعة كادينا سبورت، لكنّ الفارق هنا أقلّ؛ إذ تفوَّق ميسي بما نسبته (52٪) من الأصوات مقابل (48٪) لمارادونا. في حين أظهر الاستفتاء الذي أجرته صحيفة موندو ديبورتيفو تفوّقًا واضحًا لمصلحة مهاجم البارسا (أكثر من 75٪). وفي المقابل، منح (74,3) من المصوتين على الاستفتاء، الذي أجرته صحيفة أولي الأرجنتينية عن طريق موقعها الإلكتروني، أصواتهم لمارادونا. لقد كان هذا أمرًا متوقّعًا؛ لأنّ ذلك الهدف ما زال محفورًا في ذاكرة الأمّة جمعاء. إذ لا يوجد بيت في الأرجنتين لم يشاهد ذلك الهدف بوساطة أجهزة الفيديو، أو الأقراص المضغوطة (دي في دي)، ولو مرّة واحدة على الأقلّ. حتى إنّ لديهم في الأرجنتين دفاتر قلّابة (تقلَّب فيها الصفحات بسرعة لعرض صور متحركة)؛ لتصوير هدف القرن كما يُسمّونه. إنّه أشبه بفيلم بين اليدين؛ إذ تقلَّب الصفحات، ويصبح الأمر كأنّك تشاهد فيلمًا متحرّكًا (تشتمل الأيقونات الأرجنتينية أيضًا على هدف «يد الرب»، والحيل التي كان يؤديها مارادونا بالكرة في مسقط رأسه بفيلا فيوريتو (كان لايزال صغيرًا)، وهدف ماكسي رودريغيز في المكسيك. أمّا بالنسبة إلى ليو ميسي ولحظات المجد خاصته فلم تصبح بعدُ جزءًا من تلك المجموعة المختارة).

من الضروري التنويه بأنّ مارادونا - بالنسبة إلى الأرجنتينيين- ليس مجرّد لاعب كرة قدم، بل هو بطل شعبي، وأسطورة حيّة، ومذهب، فضلًا عن

كونه رمزًا تاريخيًّا وطنيًّا، شأنه شأن خوزيه سان مارتن (الجنرال الذي حارب في أثناء وجوده بإسبانيا؛ كي تحصل الأرجنتين على الاستقلال)، وكارلوس غارديل (مغنّي التانغو الشهير)، وإيفيتا، وخورخي لويس بورغيس (الكاتب المعروف)، أو آرنيستو غيفارا الملقّب بتشيه.

من الطبيعي أن يشعر الأرجنتينيون بتحفّظ حيال استبداله، كما لو كان مجرّد ملصق للاعب.

تُظهِر هذه الاستفتاءات - بلا شكّ- مدى الشغف الذي تشعر به الجماهير على طرفي المحيط. ثمّ يظهر سؤال آخر في خضم النقاش عن أفضل الهدفين، يتعلّق ببنية ميسي، أو بكلمات أُخرى استخدمتها صحيفة لا ناسيون: «هل كان ميسي يحاول تقليد مارادونا؟ هل ذلك ما كان، أم أنّها مجرّد مصادفة غير معقولة؟».

رجل الساعة نفسه هو مَنْ سيبدِّد الشكوك كلّها، فيصرِّح ميسي قائلًا: «ربّما كانت مشابهة، كنت قد شاهدتها (اللقطة الخاصة بهدف مارادونا) بالتلفاز مرّة واحدة فقط، لكنّني لم أتخيّل أن تكون مشابهة لهذا الحدّ. لقد أخبروني بذلك فيما بعدُ، لكنّني لم أكن أُفكِّر في أيّ شيء لحظتها، كلّ ما خطر على بالي هو السعادة التي أحدثها تسجيل هدف».

يوجد هناك المزيد؛ فعندما سُئِل ليو عن شعوره حيال الإنجاز الذي قام به، وصف ذلك الأمر على النحو الآتي: «رأيت ثغرة، وأردت استغلالها، كالعادة، أردت التقدّم إلى الأمام والتسجيل. اقترب منّي اثنان من المدافعينَ، وسدّا عليَّ المنافذ. لذا، أردت أن ألعب الكرة بطريقة (واحد-اثنين) مع أحد زملائي. ولكن، عندما لمحت الثغرة عبرت. من حسن حظي أنّني نجحت».

يذكِّرنا هذا الشرح البسيط، والإشارة إلى مجريات الأحداث كأنّها شيء عادي (وهي كذلك، فالتسجيل هو ما يهدف إليه اللاعب)، بما حدث مع

obeikandl.com

مارادونا عام 1986م، أو على الأقلّ باللحظات التي وصفها خورخي فالدانو، حين قال: «يصر دييغو على أنّه حاول إمرار الكرة لي مرارًا، لكنّه كان في كلّ مرّة يواجه عقبات تحول دون ذلك»، على الرغم من اقتناعه - في الواقع- بأنّ دييغو «لم يكن بنيّته إفلات الكرة».

منح فالدانو فرصة لمارادونا كي يمرِّر الكرة. وفي حالة ميسي، كان هناك إيتو. إنّ أوجه التشابه بين الهدفين لا تنتهي، بما في ذلك مسألة العرقلة التي اقترحها شوستر، وأيّده فيها أحد المدافعينَ في فريق خيتافي.

لنستمع إلى رأي أنريكه (هيكتور) الملقَّب بإل نيغرو، وهو أحد اللاعبينَ الذين حضروا المباراة الشهيرة التي جرت على ملعب إزتيكا: «يقولون: إنّ اللاعبينَ الإنجليز لم يحاولوا إعاقة مارادونا. لكنّ الحقيقة أنّهم لم يتمكّنوا من ذلك...! فبمجرّد وصولهم إلى أيّ مكان، كان - بكلّ سهولة- ينجح في تخطيهم». ينطبق ذلك أيضًا على حالة ميسي. فلنتابع معًا سير أحداث القصة.

في أثناء بطولة كأس العالَم في المكسيك، ادّعى هيكتور أنريكه (مازحًا) أنّ تمريرته إلى مارادونا هي التي صنعت الفارق، وساعدته (مارادونا) على التسجيل. يفعل تشافي الشيء نفسه هنا. ويعلِّق ميسي على ذلك بقوله: «لقد قال لي: إنّ الجميع يتحدثون عن الهدف العظيم الذي سجّلته، من دون الإشارة إلى زميلي، مع أنّه هو مَنْ مرَّر لي الكرة». لا يوجد هناك وجه مقارنة بين ما حدث بعد المباراة في كلّ حالة؛ فالمناسبتان كانتا مختلفتيْنِ تمامًا إلى جانب أسباب أُخرى. ربّما لا يوجد أيّ تشابه بين ما قاله هذان البطلان. قال ليو بعد المباراة: «لم يكن شيئًا ذا أهمية»، ثمّ توجّه بعدئذٍ - بكلّ هدوء- لتناول طعام العشاء برفقة والده وصديقه بابلو زاباليتا. ولكن، لسوء حظه، يدفعه الاهتمام الإعلامي إلى الانتقال إلى مطعم آخر؛ فهناك الكثير من الناس في انتظاره عند مطعمه المعتاد. قال ميسي في مؤتمر صحفي مكتظ عُقِد في اليوم اللاحق

فـي كامب نو، بشعره المبلـل نتيجة الاستحمام: إنّه نام بهـدوء، وإنّه لم يتوقّف عند الموضوع للتفكير في الهدف، وما يحمل من معانٍ.

لقـد كان حذرًا وقادرًا على التعامـل بحنكة مع إلحاح الصحفيين، مضيفًا أنّ الهـدف لم يغيّر من الأمـر شيئًا: «لا أشعر بأيّ ضغـوط، سأستمر في اللعب وقضـاء وقت ممتـع كما كنت أفعل دائمًا». ولكن، هنـاك شيء لم يغب عن باله؛ إنّـه الإهداء الذي صرَّح به حينها، ويكـرِّره الآن: «أُهدي هذا الهدف إلى دييغو، متمنِّيًـا له الشفـاء العاجل والخروج من هناك بأسرع وقـت ممكن؛ لأنّ ذلك ما يريده الأرجنتينيون كافة، فضلًا عن عشّاق كرة القدم في كلّ مكان».

دييغو أرماندو مارادونا في المستشفى. لقد أُدخِل هناك على وجه السرعة فـي ليلة الأول مـن نيسان؛ إذ تسبَّب تعاطيه الكحولَ في انتكاس نتج منه التهاب حـادّ في الكبد. كان على وشك الموت كما صرَّح طبيبه الخاص ألفريدو كاهيه. وقد وصلت الأمور إلى حدّ إعلان وفاته في الأرجنتين. ولحسن الطالع أنّها كانت مجـرّد إشاعات، حيث أُخرِج في بداية أيار من عيادة آفرل للأمراض العصبية النفسية التي كان قد دخلها طواعية، في محاولة للتخلّص من إدمانه الكحول.

كان أول مـا فعلـه بعد ذلك، هـو الظهور في البرنامـج التلفزيوني (show match) لسـرد جانب من قصته، والنيل مِن كلّ مَنْ حاول دفنه قبل الأوان. ولم ينسَ في أثنـاء هذه المقابلة التي أجراها مع صديقه مارسيلو تينيللي، أن يُعرِّج علـى هـدف ميسي. لنسمع ما قالـه: «لقد بالغ كلّ مَنْ قام بتلـك المقارنة، بالغ بصـورة كبيرة. بدايةً، هدفـي أجمل من هدف ميسي، خاصـة أنّني سجّلته في ظـلّ وجود أحد عشر لاعبًا دوليًّا من المنتخـب الإنجليزي، الذي يُعَدّ أحد أقوى المنتخبـات عالميًّا، وفي أثناء بطولة كأس العالَـم. أمّا ليو فقد سجّل هدفه في خيتافـي، ضمن بطولة كأس الملك بإسبانيا. لا يوجد وجه شَبَهٍ مطلقًا». يستعيد

مارادونا سمعة هدفه، ويتهم مَن انشغل بعمل المقارنات بالمبالغة. ثمّ يصبح أكثر حدّة في مقابلة أجرتها معه - بعد ذلك بأشهر- صحيفة إل غرافيكو الأسبوعية التي تصدر في بوينوس آيريس، والتي سألته: ما الشعور الذي راودك حين رأيت هدف ميسي في مرمى خيتافي أول مرّة؟ يجيب بانزعاج: «إنّه لا يشبه هدفي على الإطلاق». لكنّ الصحيفة تصر على موقفها المعارِض: «نعم، كانت الظروف مختلفة، ولكنّ الحركات متشابهة يا دييغو...». «لا، لا، دعوا عنكم هذا الأمر، إنّهما مختلفان تمامًا. لقد سجّلت الملايين من تلك الأهداف في أثناء التدريب، لكنّها لم تصوَّر. إذا كنّا سنتحدث بجدية عن الأمر، فسترغمونني على قول أشياء لا أريد البوح بها...». لا ينتهي النقاش عند ذلك الحد مع الأسف.

ففي التاسع من شهر حزيران، خاض فريق برشلونة مباراة أمام فريق إسبانيول. وفيما يأتي التعليق الذي رافق المباراة على إحدى القنوات الأرجنتينية، بعد انقضاء الدقيقة الثانية والأربعين من الشوط الأول:

«لقد حان دور ميسي.

ميسي يواجه الخصم.

ميسي ينقل الكرة إلى إيتو داخل منطقة الجزاء.

إيتو ظهره للمرمى، وهو محاط بأربعة مدافعينَ.

إيتو يتجه بالكرة إلى الخط الجانبي.

زامبروتا...

ميسي لا يستطيع اللحاق بها...

بيده، بيده، مثل دييغو.

obeikandl.com

سأصرخ بأعلى الصوت على أيّ حال:

هدفففففففففف!

إنّه دييغو! أعتقد أنّكم توافقونني الرأي. إنّه دييغو بالنسبة إليّ. إنّه الشخص عينه.... لقد تقمّص روحه. نعم، أنا لا أومن بذلك. ولكن... لقد تقمّص روحه. لا يمكن أن يكون الأمر مصادفة كلّ مرّة. قولوا لي: كيف لحادثتين أن تتكرّرا بمثل هذا الشكل، بمثل هذا الشكل المتطابق، ومن شخصين مختلفيْنِ... ميسي، أو بالأحرى مارادونا بملابس ميسي، ينزل إلى الملعب، وهو يرتدي قميص برشلونة، ثمّ يعدِّل النتيجة بيده اليسرى».

لأولئك الذين ما زالوا في شكّ من أمرهم، ها هو ذا تعليق مايكل روبنسون من قناة ديجيتال +: «لقد سجّل هدفين على الطريقة المارادونية في موسم واحد. هدفان سُجِّلا في مرمى منتخب إنجلترا، وهنا في مرمى فريق خيتافي وإسبانيول. لقد كرَّر كليهما».

يد الرب تضرب من جديد، بكلّ ما في الأمر من أوجه شبه ونقاشات. في الثاني والعشرين من شهر حزيران عام 1986م، توقّع مارادونا خروج بيتر شيلتون، الذي يفوق طوله طول مارادونا بخمسة عشر سنتيمترًا، عن مرماه. كما تغلّب ميسي على حارس المرمى كارلوس كاميني بالقفز، مع أنّ هذا الأخير أطول منه بتسعة عشر سنتيمترًا. وعلى الرغم من احتجاج اللاعبينَ الإنجليز، فقد أقرّ الحكم التونسي علي بن ناصر بصحة الهدف عند إشارة الحكم المساعد إلى منتصف الملعب. وعلى الرغم من التقنيات المتوافرة عام 2007م، فقد أحبط الحكم رودريغز سانتياغو لاعبي إسبانيول باحتساب الهدف. يتردّد مارادونا في الإقرار بما يعرفه الجميع: «إنّ يد الرب لم تكن سوى يد دييغو! وهي اليد نفسها التي سرقت من الإنجليز».

obeikandl.com

وفي المقابـل، لا يأسف ميسي بعد المباراة على شيء باستثناء أنّ الهدف – كما يقول- «لم يجلب لنا الكثير؛ نقطة التعادل فقط». وليس البطولة. وقد احتفل «بطريقة عادية لا تخلو من الفرح عند تحقيق التعادل». من المؤكَّد أن لا سبب للشعور بالخجل لفعل شيء ماكر مثل ذلك.

دييغـو وليونيل، ميسي ومارادونا، الأستاذ والتلميذ. وفي هذا السياق، ألَّف أريـيـل زاراتي الملقَّـب بالنمر، وهو فنّان يبلغ من العمر تسعة وعشرين عامًا من إنتري ريوس، وعضو من فرقة تضم أربعة موسيقيين أرجنتينيين؛ أغنية سمّاها (El Pie de Oro llego)، وتعني «وصلت القدم الذهبية». أمّا كلماتها فمستوحاة من لقب مارادونا (El Pipe de Oro)؛ أي الفتى الذهبي.

تقول كلمات هذه الأغنية:

في الرابع والعشرين من حزيران عام 87

بعد عام من فوز الأرجنتين بالبطولة

وُلِد نجم، حلم جديد

وُلِدت القدم الذهبية في روزاريو

لاعب عظيم وصغير، يراوغ على نحوٍ ساحر

لعب في صفوف أشبال نيولز أولد بويز، عندما كان في السابعة من العمر

تخلّوا عنه هنا حين عانى المشكلات

وكان عليه أن يهاجر، ويذهب إلى إسبانيا

جعل من برشلونة بيته الثاني

ونجح بفضل التضحيات والحبّ

شارك أول مرّة مع البارسا عام 2004

وحقَّق حلمه مع منتخب دون سنّ العشرين

(وصلت القدم الذهبية)

(لازمة)

هيّا يا ليونيل

العالَم كلّه في انتظار أن يراك تجري من جديد

نريد رؤية السحر الذي تنثره قدماك

(إعادة)

لديه قلب كبير كالأسد

ينشر الأمل عندما يدخل الملعب

يريد المشجعون أن يهتفوا حين يسجّل

في مباراة يرتدي فيها الأزرق السماوي والأبيض

نهتف لك من كلّ زاوية

المنتخب الوطني يحدوه الأمل

نريد رؤيتك مع الأرجنتين متوَّجين بالبطولة!

(لازمة)

يشتعل الحماس عبر العالَم

نريد رؤيتك مع الأرجنتين متوَّجين بالبطولة!

obeikandl.com

لـدى ميسي الآن كاتب أغـانٍ خاص به، كما كان حال: مارادونا، الذي كان له ال بورتو رودريغو. لقد تحدث الكثيرون، وكتبوا عن أوجه الشبه بين الاثنين، فضـلًا عن الأغاني طبعًا، حتى قبل الهدف الذي سجِّل في شهر نيسان من عام 2007م. لطالمـا كان ميسـي يقـارَن بمارادونا بصـورة أو بأُخـرى. كان مدرِّبوه فـي نيولـز هم أول مَنْ عمد إلى تلـك المقارنة، بَدءًا بأنريكـه دومينغيز، مرورًا بأرنيستـو فيكيـو، وانتهاءً – طبعًـا- بأدريان كوريا. يصر فيكيـو على المقارنة قائـلًا: «لقد شاهدته يؤدي حركات مذهلة بالكرة لم يتمكّن مارادونا من أدائها حينما كان فـي ذلك العمر». يشير غويرمو أويوس، مدرِّب ليو في فريق الشباب (ب)، إلـى هذا الجانب نفسه، قائلًا: «ميسي هو الأكثر شبهًا بمارادونا من بين كلّ اللاعبيـنَ الذيـن رأيتهم في حياتي، خاصة من حيـث الدافعية والتصميم. لقد قلب ليو وحده نتائج عشرات المباريات! إنّه مثل دييغو؛ يتعرّض للهجوم مرّة تلو الأُخرى، لكنّه يواصل، كأنّه ينبعث من الأرض. الطريقة الوحيدة لإيقافه هي قتله. لا يجد صعوبة في تدبّر أمره. يتحكّم في الكرة بباطن قدمه، وكلّ ما عليه التكفُّـل به عندئذٍ، هو السرعة. لديه حقًّا إحساسـ جيد بالكرة، وهو أمر يفعله على نحوٍ مختلف عن أيّ لاعب آخر».

ومنـذ ذلك الحين، أخذ الكثيرون يتحدثـون عن هذا الأمر، عند تطرُّقهم إلـى كلّ مرحلة من مراحل حياة لاعب البارسـا رقم (19) المهنية. فعلى سبيل المثـال، يقـول اللاعـب السابق صاحـب الرقـم (10) في نادي ريفـر بلايت؛ نوربيرتـو ألونسو: «لديه صفات تذكِّرني بمارادونـا، مثل: طريقته في الانطلاق إلـى الأمام كالقذيفة، وسرعته في اللعب أيضًـا. ويملك دييغو تلك النظرة التي من شأنها تغيير شكل المباراة، أمّا ميسي فلا».

لا يسـاور مدرِّب نـادي آرسنال آرسين فنغـر أيّ شكّ فـي «أنّ ميسي مثل مارادونـا. ولكن، مع محـرّك نفّاث مُثبَّت إلى قدميـه». ولا يساور الشكّ لاعبينَ

حاليينَ وسابقينَ؛ إذ يقول إيتو: «ميسي هو دييغو مارادونا المستقبل». في حين يقول ديكو: «إنّه يذكّرني بمارادونا كثيرًا. أحيانًا أسمع الناس يقولون: إنّ عليه الحذر من تأثير الشهرة؛ لكي يتجنّب ما حصل لمارادونا. لكنّ الحال مختلف مع ليو؛ فهو يعيش في بيئة صحية، يتمتع فيها بالحب والحماية». يقول فرانتز بكنباور من جانبه،: «عندما نشاهده يجري بالكرة فإنّه يمنحنا سببًا منطقيًّا للتفكير في مارادونا حينما كان في أفضل حالاته». بعضهم لا ينكِر أوجه التشابه، لكنّهم يرسلون بكلمات التحذير إلى ميسي. ومن هؤلاء هكتور أنريكه الملقب ال نيغرو، الفائز ببطولة كأس العالَم عام 86 رفقة المنتخب الأرجنتيني؛ إذ يقول: «بين ميسي ومارادونا، هناك أمران مشتركان، هما: أسلوب الجري، والسرعة. فقد امتلك دييغو طريقة خاصة بالجري تمثَّلت في خطوات صغيرة كفيلة بسحق المنافس، وكذا الحال بالنسبة إلى ليو الذي كان يصعب أخذ الكرة منه. لكنّ الأهم من ذلك، هو أنّه لا يُسدِّد كيفما اتفق، بل ينظر إلى القائم البعيد ويراوغ من اليمين إلى اليسار مثل دييغو. لا تكمن المشكلة في مقارنته بمارادونا، بل في اعتقاده الجازم أنّه مارادونا أصلًا». ذلك شيء يقلِق غابرييل باتيستوتا أيضًا؛ إذ يقول المهاجم السابق لنادي فيورنتينا، والهدّاف التاريخي للمنتخب الأرجنتيني: «يتعيّن على ليو عدم تقليد مارادونا، ينبغي له الاستقلال بشخصيته، وبذل قصارى جهده. وفي حال لم يفعل ذلك، فإنّه سيكون مارادونا الثاني، حتى إن نجح في الوصول إلى مستوى هذا الأخير».

الأصوات المعارضة قليلة، أحدها يصدر من بيليه، على الرغم من أنّ الوضع هنا طبيعي بالنظر إلى العلاقة المتوترة التي تربطه بمارادونا. (الملك) مقتنع أنّ «ميسي مختلف. كان مارادونا ينطلق من الخلف. في حين كان ميسي أسرع منه بقليل. لكنّ دييغو كان متكاملًا بصورة أكبر».

مصدر أحد الأصوات المعارضة الأُخرى، هو سيزار لويس مينوتي الملقَّب بال فلاكو، الـذي انتقى التشكيلة المشاركة في بطولة كأس العالَم عام 1978م؛ إذ يقـول: «إنّه ليس مارادونا الجديـد. كلّما ظهر صبي يحسم نتائج المباريات، ويتمتـع بمهـارات وقدرات فنية جيدة؛ سواء في الأرجنتيـن، أو في أيّ مكان من العالَم، قـام العالَم أجمع بتنصيبه مارادونا الجديـد. ميسي لاعب ماهر جدًّا، أشـول، قـوي، أرجنتيني يلعب لبرشلونـة. لكنّه ليس مارادونا، إنّـه ميسي». أمّا الكاتب والصحفي وعالِم النفس والتر فارغاس فيتناول الموضوع بحسم، ويصر في كتابه (football delivery) على أنّ «ميسي لم يكن مارادونا، ولن يكون كذلك فـي يوم من الأيـام. ليو- في رأيي- لن يصل إلى تلك المرتبـة أبدًا، وأعتقد أنّ مجرّد الاقتراب منها هو أمر صعب حقًّا».

هنـاك الكثير من الآراء المتباينة. ولكن، هناك المزيد؛ فاللجنة الأولمبية الأرجنتينيـة تُعِدّ دراسة يشرِف عليها ميغيـل توديري، وهي تتضمّن مقارنة بين اللاعبيـنَ بأسلوب علمـي. أمّا النتيجة فأمور بدهية. فقـد أظهرت الدراسة أنّ ميسـي ومارادونا يتمتعـان بصفات جسديـة متشابهة، من حيـث: وجود مركز جاذبيـة الجسم في جزئه السفلـي، والكتلة العضلية، والطـول، والوزن، وتطور الأداء، فضلًا عن أنّ كليهما أشول بالطبع.

مـن الأفضـل النأي بالعلم جانبًا في مثل هذه الحـالات، والتجوّل في بوينوس آيرس قرب ملعب البوكا لا بونبونيرا، للتحدث إلى المشجعين؛ كبارًا وصغارًا. علمًا بأنّ رودريغو، الذي يرتدي قميص البوكا الأزرق والأصفر، لا يودّ الاستماع أو التحدث فـي المسألة. لقد سبق له رؤية مارادونا يلعـب. لذا، فإنّه يرفض سماع أيّ مقارنة. وفـي المقابل، أخذ يعـدِّد نقاط الضعف لـدى ميسي، بَدءًا بعـدم إتقان الضربات الحرّة، وانتهاءً بطريقة تعامله مع المباراة، ومجَّد نقاط القوة لدى مارادونا، سائلًا محـاوِره عمّا إذا كان قد شاهـد الأهداف الأولى التي سجّلها صاحب الرقم (10)،

فـي أثناء لعبه مع نـادي أرجنتينيوس جونيورز. لننتقل إلـى لويس الذي تعرف من النظـرة الأولى أنّه من مشجعـي البوكا؛ بتعليقه صورة لمارادونا في متجره، مكتوبًا عليهـا: «أبناؤك وأحفـادك سيسألون عنـه». ولكن، في أثناء تجوّلنـا في الشوارع، يفاجئنـا بعض الأطفال بلعب الكرة. يرتدي اثنان منهما قميص البارسا الذي كُتِب عليـه اسم ميسي. يقول جوليـان البالغ من العمر عشر سنوات، والأكثر شجاعة في الحديث: «أنا من مشجعي البوكا، لكنّني أحبّ ميسي، أحبّ طريقة لعبه».

قـد يكـون للإعجاب والمفاضلة هنـا علاقة بالعمر. يشـرح هوريشيو ديل بـرادو، المعلِّق في راديو ناشيونـال بالأرجنتين هذا الأمر، قائـلًا: «كتب راؤول غونزاليـس تونيون في واحدة مـن أجمل قصائده (الشاعر الـذي وافته المنية فجـرًا): «بعضـ الناس، من الأكبر سنًّـا، حرموه عند البدايـة. آخرون، أصغر سنًّـا، حرمـوه فيما بعد». ذلك ما يحـدث في عالَم كرة القـدم جيلًا بعد جيل. وهـذا هو حال ميسـي الآن؛ إذ ينسى الكبار، الذين يصرون علـى أنّ ميسي لن يصل إلى مستوى مارادونا، ما يقوله الجميع عندما يبزغ نجم لاعب جديد: «لن ينجح». قالوا: إنّ مارادونا ممتلئ الجسم، وصغير الحجم، وإنّه لن يصبح بطلًا كاللاعبيـنَ العظماء. كان الحارس الكبير هوغو غاتي أحد أكثر مَنْ تكلّموا عن سمنة مارادونا، لكنّ دييغو عاقبه بتسجيل أربعة أهداف في مرماه».

لندع الآراء جانبًا، ولنطلع علـى أسباب أُخرى وراء ديمومة تلك المقارنة. الأمـر بسيط؛ فمنذ أن اعتـزل مارادونا عـام 1997م والأرجنتينيون –وآخرون أيضًـا– يبحثون عن خليفة له. الأمر عادي ويحصـل كلّما اعتزل لاعب عظيم. يحتـاج الناس فـي البداية إلى بعض الوقت لتقبُّل فكـرة رحيل أسطورة، ثمّ إلى وقت آخر لإيجاد مَنْ يذكّرهم بالأسطورة، وينثر السحر المفقود. وأنّى نجد مَنْ يجعلنا نتذكّر تلك الأيام الخوالي؟ فالذكريات عنصر مهم في كرة القدم، فضلًا عـن أنّهـا عامل رئيس للترويج؛ فـإذا أردنا أن نرفع من شـأن (قيمة) أيّ لاعب

شـاب فكلّ ما علينا فعله هـو تسميته بِـ «بيليه الجديـد»، أو «مارادونا الجديد». فبذلـك يعرف الجميع ما نقصده. وفي المقابـل، فقد يساء فهم ذلك الوصف؛ نظرًا إلى عـدم مناسبته للاعب المعنيّ، أو عجز المرشَّح للخلافة عن الوصول إلـى مستوى عالٍ مـن الأداء. وذلك ما كان عندما أُطلِق لقب «مارادونا الجديد» علـى كلّ من: أرييـل أورتيغا، وبابلو أيمـار، وخوان رومان ريكيلمـي، والأباتشي تيفيز؛ إذ من الصعب حمل تاج كهذا. ويصعب الأمر أكثر عندما تظهر كثير من المفاجـآت كما في حالة ميسي؛ فهـو صغير الحجم، وأشول، وترعرع في نيولز، حيـث كان مارادونـا قد قضـى بعض الوقت، ثـمّ كبر في نـادي برشلونة، حيث لعـب مارادونا أول مرّة خـارج الأرجنتين، وبطل كأس العالَـم للشباب دون سنّ العشريـن، تمامًا مثل مارادونـا (بطولة كأس العالَم عـام 1979م). وكانت أول مشاركـة له مـع المنتخب الأول أمام المجر، تمامًـا كمارادونا. ثمّ تتعقّد الأمور أكثـر عندما يقوم مارادونا بدعوتك إلى برنامجـه التلفزيوني (ليلة الملك رقم 10)، وينصِّبـك أنـت تحديدًا خليفة لـه، حيث يقول: «لقد اختيـر ميسي ليكون مـن بين العظمـاء. يعتقد بعضهم أنّه نجح فعلًا في الأمر. ولكن، في رأيي، فإنّه بدأ اللعـب توًّا. باستطاعته بذل المزيد ومضاعفة جهوده، وحينئذٍ، ستكون تلك لحظة المجد بالنسبة إليه».

وحيـن يُطرَح عليه سؤال من صحيفة إل غرافيكو بخصوص هذا اللاعب، فإنّـه يجيب بأنّ ميسي هو حقًّـا أفضل لاعب أرجنتيني في الوقت الحالي. ولكنّه حين يُسأَل: هل سيتمكّن ليو من تخطيك؟ يجيب قائلًا: «إذا كان ذلك الأمر في مصلحة كرة القدم الأرجنتينية فسأكون سعيدًا من دون شكّ».

مـن المُلاحَـظ أنّه علـى الرغم مـن كلّ تصريحاته وبركاته، فـإنّ الملك القديم لايزال متحفِّظًا حيال التنازل عن عرشه. لذا، فقد حان دور المقلِّد لكي يثبت جدارته بالجلوس هناك.